

البحث عن الحقيقة

أ. محمد العربي

قال الله تعالى: **فَمَّا الزُّلْزُلُ فُتِحَتْ بَابُ الْجَنَّةِ وَأُولَئِكَ فِيهَا مُبَدِّلُونَ** (سورة الحديد: 24).
 إستناداً إلى هذه الآية الكريمة أكتب هذه الكلمات علماً تكون نبراساً لمن يهيمه فهم معنى الكلمات. "هناك ألوف الصحف والإذاعات التي تموج بها الدنيا صباحاً ومساءً، ولو تعمقنا النظر في محتواها ما وجدنا بها إلا حقائق قليلة يتخللها باطل كثيف، ولو ذهبنا نبحث في أغلب ما نرى ونسمع لأعيننا طلبه". وفي مجالات متعددة أثرت الإشاعات الكاذبة في تزييف الحقيقة "فكم من هوى جعله الجور عدلاً" لهذا قال الله لنبيه (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله، إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون). وقال (وما يتبع أكثرهم إلا ظناً، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً، إن الله كان عليماً بما يفعلون)، ولعل هذا هو السر في أن الله طلب من كل مؤمن أن يسأله الهدى، وكلفه أن لا يسأم من تكرار هذا السؤال حيناً بعد حين. ففي كل صلاة مفروضة أو نافلة يقف المرء بين يدي ربه يقول (اهدنا الصراط المستقيم (6) صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين (7)).
 وليس المقصود بالصراط المستقيم أقرب مسافة بين نقطتين أو إتباع سكة مطروقة في إحدى البلاد ولا جسراً مضروباً هنا وهناك بل هو المنهج الذي يشقه المرء لنفسه بين مشكلات الحياة.

فليستخدم كل منا فكره وحواسه في التعرف على هذا المنهج، وليقرر خطة سيره بعيد عن الظنون، وفي ذلك ذكر برنارد شو: "إذا لقيت إنساناً شيئاً فإنه لن يتعلم". أي أن التلقين لا يفيد في مجال التعلم، بل إن الوسيلة الأساسية لترسيخ التعلم هي إسقاط هذا العلم في مجال العمل وهذا ما جاء على لسان أحد التابعين حيث قال: "كنا نستعين على حفظ أحاديث رسول الله 'ص' بالعمل بها". إن المعلومات النظرية التي لم ننقلها من دائرة المذهب إلى واقع الحياة تشبه الطعام الذي لم يتم هضمه، ولو أن كل امرئ عنده حب للخير ارتقى بعاطفته تلك إلى مرحلة تنقل الخير من دائرة التصورات النظرية إلى عمل يبصر الضوء والحياة لاختصرنا نصف متاعبنا، وحللنا أعقد مشكلاتنا ...
 ومن أجل التصدي لأي مشكلة تعترضنا يجب إتباع الخطوات التالية:

إستخلاص الحقائق-تحليل هذه الحقائق-إتخاذ قرار حاسم ثم العمل بمقتضاه.

إن أصعب خطوة من هذه الخطوات هي إستخلاص الحقائق، إذ أن الشخص إذا خدع عن الحقيقة، فكيف سيوفق إلى حل صحيح لمشكلات الحياة. إذ أن كل ما يتفق مع ميولنا ورغباتنا فإنه يبدو معقولاً في أعيننا، أما ما يناقض رغباتنا فإنه يشعلنا غضباً، أو لسنا نسخر من الذي يحل مسألة حسابية بسيطة مفترضا أن اثنين زائد اثنين يساوي أربعة ؟ ومع ذلك فإن كثير من الناس يجعلون حياتهم سعيماً بإصرارهم أن اثنين زائد اثنين هو خمسة، وربما خمسمائة ؟. فما العلاج ؟ العلاج أن نفصل بين عاطفتنا وتفكيرنا، ونستخلص الحقائق المجردة بطريقة محايدة.

إن أول خطوة يجب إتباعها هي البداية بتصنيف المشكلات حسب أهميتها فقد تكون مجرد توافه ضخمناها بعدم مواجهتها ثانياً الابتعاد عن الحلول الخيالية وخيراً وضع خطة عملية تسير الواقع والشروع في تنفيذها ومواجهة عقباتها. وخيراً عدم الاستسلام للفشل والبحث عن الحلول السهلة تونها أحد أهم أسباب الانهزام.